[وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾]

[وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾]: مما برأ الله تعالى به كلامه، أنه ليس بقول شيطان رجيم. فقد كان من مزاعم كفار مكة أن الشياطين هي التي تلقي إلى النبي ﷺ هذا الكلام، وأن له رئي من الجن، يعني صاحب من الجن يلقنه هذه الكلمات، كما يلقن الجن السجع للكهان. فكلام الله بريء من ذلك. وكلمة [شَيْطَانٍ] مشتقة من الشطن، وهو البعد وذلك، لإبعاد الله تعالى له ، ومعنى [رَّجِيمٍ]: أي مرجوم، وملعون، ومطرود عن رحمة الله. وفي هذا أيضاً تبرئة، وتوثيق للقرآن العظيم، من أن يكون التبس به شيء، أو خالطه شيء من إلقاء الشياطين. قال تعالى: [وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾] {الحج:٥٢} يعني أن الشياطين تحاول التلبيس على الوحي، والتأثير على النبي، بأن تدخل فيه ما ليس منه. ووجه دلالة الآية ، من قوله : [تَمَنَّىٰٓ] يعني تلا، وليس المراد تمنى من الأماني ، وإنما من الأمنية وهي، التلاوة، كما قال الشاعر :

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهَا لَاقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وقد روي في سبب نزولها عن سعيد بن جُبَيْر، قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة "النجم" فلما بلغ هذا الموضع: [أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾] {النجم:١٩-٢٠} قال: فألقى الشيطان على لسانه: "تلك الغَرَانيق العلى. وإن شفاعتهن ترتجى". قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. فسجَدَ وسجدوا، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: [وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ

ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾] {الحج:٥٢} رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير[١]. وقال ابن كثير :(ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم) [٢]

وقد صنف فيها الشيخ ناصر الدين الألباني، رحمه الله، رسالة بعنوان " نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق " والمجانيق: جمع منجنيق : هو آلة حربية، يوضع في كفتها ثقل، ويرمى به القلاع، والحصون، فتهدم الأسوار. والرسالة المذكورة، اسم على مسمى، فقد نسف هذه القصة من الناحية الحديثية. و لو قدرنا أن شيئاً مثل هذا قد وقع، بدلالة آية الحج [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ] وأدخل الشيطان في الآيات ما ليس منها، فإن الله سبحانه وتعالى يبطل هذا الدخيل، ويبقي كلامه الأصيل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلم يبق محذور .

[وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾]: هذا ردٌّ على القدرية الذين ينكرون القدر السابق. ورد على الجبرية الذين ينكرون مشيئة العبد. فقد أثبت الله للعباد مشيئة حقيقية، داخلة تحت مشيئته .

و العبد إذا شاء، والرب لم يشأ، لم تقع مشيئة العبد، لقوله تعالى : [وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾]؛ لكن في نفس الوقت العبد له مشيئة حقيقية ، ليس مضطراً، ولا مكرهاً، ولا مجبوراً، على أفعاله الاختيارية، بل يأتي الأشياء، ويذرها بمحض اختياره، وسبق إصراره. وهذا أمر مدرك؛ كل إنسان يجده من نفسه، ويفرق بين أعماله الاضطرارية، وأعماله الاختيارية، ولا ينازع في هذا إلا مخبول. فأنت تفرق بين أن تنزل من السطح إلى الأرض درجة درجة، وبين أن تتدحرج حتى تصل القاع.

وبهذا كانت هذه السورة العظيمة قد حققت مقاصدها الجليلة

---

[١] تفسير الطبري (٦٠٧/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٥٠٠/٨)، وهو باطل. انظر (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق).

[٢] تفسير ابن كثير (٤٤١/٥).

وهذه المقاصد العظيمة أسس الاعتقاد ، ترسخ في عقول المخاطبين، وتقر في قلوبهم، أن يؤمنوا بالبعث وما يجري يوم القيامة، وأن يؤمنوا بهذا القرآن الذي يتلى عليهم، وأنه ليس كلاماً كسائر الكلام، ليس من سجع الكهان، وليس من شعر الشعراء، ولا غير ذلك من كلام البشر، بل هو كلام كريم، من رب العالمين. كما أن الشخص المبلغ له مزية، فهو وإن كان بشراً، يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، لكنه يوحى إليه. [قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ] {فصلت:٦}. هذه كلها مفاصل الاعتقاد ، ثم ما يترتب على هذه الجمل الإيمانية، والأصول العقدية، من الأثر البالغ، وهو تعليقهم بمسئوليتهم، التي مكنهم الله تعالى فيها؛ من الأدوات، والآلات، فأثبت لهم مشيئة ، وفعلاً ، وقدرة ، واختياراً ، على أساسه يترتب الثواب، والعقاب. فهذه السورة على قصر آياتها، احتوت على هذه الأصول العقدية العظيمة !

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: بلاغة القرآن، وقوة تأثيره، تأمل قول الله تعالى: [فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾] لا تفي العبارات لتصوير الأثر الذي ينقدح بالنفس، من هذه الجمل الرصينة المؤثرة ، فهذا مظهر لبلاغة القرآن وجزالته، لاسيما القرآن المكي .

الفائدة الثانية: إقسام الله بما شاء من مخلوقاته، فلله ﷻ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، لكن ليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله ﷻ، قال ﷺ "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" رواه ابو داود والترمذي[٣].

الفائدة الثالثة: التنبيه على أن مهمة جبريل، عليه السلام، هي البلاغ، أخذاً من قوله: (رسول) .

الفائدة الرابعة: شرف جبريل، عليه السلام، وفضله على سائر الملائكة، حيث وصفه الله بأنه " كريم " وأنه " مطاع " وأنه " أمين " .

---

[٣] سنن أبي داود (٣٢٥١)، سنن الترمذي (١٥٣٥) صححه الألباني.

الفائدة الخامسة: تبرئة النبي ﷺمما نبزه به المشركون من الجنون .

الفائدة السادسة: وفور عقل النبي ﷺ، فإن نفي الله تعالى عن نبيه الجنون يتضمن إثبات كمال ضده ، فهو وافر العقل، والرأي، والرشد .

الفائدة السابعة: ثبوت اللقيا بين النبي ﷺ، وبين جبريل، عليه السلام، واتصال سنده برب العالمين، لقوله: [وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾].

الفائدة الثامنة: الشهادة الربانية للنبي ﷺ،بكمال البلاغ، لقوله تعالى: [وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾] على القراءتين .

الفائدة التاسعة: عصمة الوحي من إلقاء الشياطين، وتلبيسهم، لقول الله تعالى: [وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾].

الفائدة العاشرة: عموم دين الإسلام للعالمين، لقوله تعالى: [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾].

الفائدة الحادية عشرة: كون القرآن ذكراً، يرفع الجهل والغفلة، لقوله: [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ]

الفائدة الثانية عشرة : إثبات مشيئة العباد وأفعالهم ، لقوله تعالى: [لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ] .

الفائدة الثالثة عشرة: الرد على الجبرية الذين ينكرون مشيئة العباد .

الفائدة الرابعة عشرة: أن التزام الدين استقامة، وتركه اعوجاج ، لقوله تعالى: [لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ]، فالمعيار في الاستقامة: موافقة الشرع، والوحي، والمعيار في الوسطية موافقة الشرع والوحي. وتجد بعض الناس يصنف الآخرين على ما يحلو له؛ فيقول: فلان متشدد ، وفلان متساهل ، وفلان متوسط بناءً على معيار غير صحيح، فإذا رأى من يلتزم بالسنن، ويحافظ على هدي النبي ﷺقال عنه: فلان متشدد، سبحان الله ! هذا ليس معياراً صحيحاً ؟ بل هذا انحراف، فالمستقيم حقاً، والمتوسط حقاً، هو من وافق هدي النبي ﷺفإن زاد فهو متشدد ، وإن نقص فهو مفرط .

الفائدة الخامسة عشرة: إثبات عموم مشيئة الله تعالى، لقوله تعالى: [وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩].

الفائدة السادسة عشرة : الرد على القدرية، فإن غلاة القدرية، ينكرون مراتب القدر الأربع كلها، فيقولون لم يعلم، ولم يكتب، ولم يشأ، ولم يخلق أفعال العباد! ومقتصدوهم، وهم المعتزلة، قالوا: علم، وكتب، لكن لم يشأ، ولم يخلق!

الفائدة السابعة عشرة : أنه لا تنافي بين إثبات المشيئتين ، لأن مشيئة الله محيطة بمشيئة العبد.

الفائدة الثامنة عشرة : كمال عدل الله، وعلمه ؛ لأن إثبات مشيئة الله العامة، تدل على إثبات علمه، لوقوع الأشياء وفق معلومه. وكونه سبحانه أعطى العبد مشيئة، وفعلاً، واختياراً، رتب عليه الثواب، والعقاب، يدل على كمال عدله . والله أعلم .